..اليوم وليس غدًا: يا منظمة التحرير الفلسطينية!

أنيس منصور

التحرير

أهم حوادث سنة ١٩٨٠ هى نفسها أهم حوادث السبعين قرنا الماضية : الحروب والحروب المضادة وضحاياها من القتلى والجرحى واللاجئين . ثم علاج مابعد الحروب بالانقلابات الداخلية تعديلاً لأخطاء سابقة .

فكما أن الحرب نوع من التصحيح العنيف ، فإن علاج آثار الحرب لايكون إلا بتصحيح أعنف . وإذا كانت الحرب تشتعل لتقضى على فساد قديم ، فإن الحرب نفسها تخلق فسادا جديدا .

وبذلك تؤدى الحروب إلى مضاعفة ويلات الإنسانية الأخرى التى تولدت من الفقر والمرض . وليس حدثا كبيرا أن تكون هناك زلازل ، فضحاياها أقل كثيرا من الزلازل السياسية والاقتصادية والعسكرية ..

ولذلك فأهم حوادث العام الماضى هى العدوان الروسى على أفغانستان وحركة التحرير الأفغانية ، وعدوان العراق العربى الإسلامى ، على إيران الفارسية الإسلامية .

وإذا كان فى العالم ٤٠٠ مليون من العوقين والعاجزين عن الحياة ، فإن نصف هذا العدد من اللاجئين الفارين من اثيوبيا والصومال وفيتنام وكمبوديا وكوبا وتشاد وباكستان وافغانستان وعشرات من دول أمريكا اللاتينية .. واللاجئين الفلسطينيين الذين أرغموا على ترك أرضهم وعاشوا فى الدول العربية . لقد هربوا من الأرض وحملوا على أكتافهم قضية العودة إليها . وتولت الدول العربية دور الحامى عن الشعب الفلسطينى ٣٢ عاما . وحملت منظمة التحرير هذا العبء ١٦ عاما . وانتهت القضية الفلسطينية بأن أصبحت مصر وحدها التى تدافع عنها ..

ولم يشهد العام الماضى موقفا عربيا موحدا من أجل فلسطين ولذلك فأهم أحداث سنة ١٩٨٠ أن شيئا لم يحدث للقضية الفلسطينية . فهل غاب العرب ؟ هل غابت منظمة التحرير الفلسطينية ؟ هل يمكن أن يقال إن قضية فلسطين هى الشىء الوحيد الذى يتكرر فى كل سنة .. حتى اعتاد العرب عليه ، ولذلك يسقطونه من حسابهم ؟ !

هل ضاق العرب بفلسطين ؟ أو «هل ضاق الفلسطينيون بالعرب ؟ من المؤكد أن الفلسطينيين قد ضاقوا بالعرب وبأنفسهم أيضا !

اما « العرب » فكلمة غير دقيقة . لأن الدول العربية إذا كانت قد اشتركت فى صفة العروبة ، فإنها لم تشترك فى شىء آخر : لا الرأى ولا القرار ولاصدق النية فى حل القضية الفلسطينية

والآن نستعير أسلوب شهرزاد فى ألف ليلة وليلة . عندما يدركها الصباح فتسكت عن الكلام المباح وغير المباح .. ولكن لكى نستأنف هذا الكلام كل يوم وكل سنة : فأين القضية الفلسطينية ؟ .

لقد أجاب عن هذا السؤال الرئيس صدام حسين فى حواره العنيف مع السيد فاروق قدومى فى عمان . أما تفاصيل الحوار فعندنا . ولكن ليس من مصلحة أحد أن ننشر ذلك .

قال الرئيس صدام حسين : الآن عندنا جميعا مشكلة : إما عرب وإما فرس .. وكما وقف العرب جميعا ضد الصهيونية ، فإن صهيونية جديدة قد برزت . لابعد الشاه ولكن قبل ذلك .. فنحن أمام الغزو الفارسى لكل دول الخليج . وسوف تكون الضربة الأولى للعراق سيدة الخليج .. ونحن قادرون على صد هذا العدوان . ولكن العراق يجب ألا يكون وحده أمام إيران .. فلسنا وحدنا عربا . بل انتم جميعا .. هذه هى القضية .

أى أن القضية لم تعد فلسطين العربية . أى لايصح الآن أن يتضامن العرب ضد إسرائيل . إنما يجب أن يتضامنوا ضد إيران .

الجاحدون الأفغان.. طلب إليهم الرئيس السادات تشكيل حكومة مؤقتة

وقال الرئيس صدام حسين أيضا : إن كل القضايا يمكن تأجيلها الآن . فواجبنا أن نفرغ بسرعة من قضية مائت من مئات السنين . غير أن أطماع الفرس التي أذكاها الشاه وأضاف إليها الخميني عمقا دينيا هي القضية .. ولذلك يجب أن يسفر كل إنسان عن وجهه الحقيقي . هذا ما أريده الآن !

والتفت إلى السيد فاروق قدومي أحد فلاسفة منظمة التحرير الفلسطينية . ويقال - ولست على يقين من ذلك - إن السيد فاروق قدومي قد رفع صوته وبدا في وجه الرئيس صدام قائلا : بل هي القضية الفلسطينية . وإذا كان العرب لم يفلحوا في أن يقفوا معا دفاعا عنها ، فكيف تطالبهم بنفس الموقف دفاعا عن العراق ضد إيران . إن ضعف العرب هو الذي أغرى إيران بالتربص والاستعداد لغزو العرب من داخلهم ..

ويقال إن السيد فاروق قدومي قد ذهب إلى أبعد من ذلك قائلا : أليس من الرجوع إلى الحق أن نقول إن مصر هي الدولة الوحيدة التي تدافع عن فلسطين؟ !

ولابد هنا أن يدرك شهرزاد الصباح - سواء كان نور الصباح قد ظهر أو لم يظهر . إذ من الضروري أن نستدعي الشمس لكي تظهر فورا . حتى لا يطيل السيد فاروق قدومي في مثل هذا التطاول على الرئيس صدام حسين - فليس معقولا أن يقول ذلك . ولكن قيل لنا إنه قال .

وسيان أن يكون ذلك قد حدث أو لم يحدث . لأن الذي يجب أن يعنينا اليوم وغدا هو : أننا نريد أن نعرف . وهذا حقنا . ما الذي قالوه في عمان !

شيء واضح تماما هو : أن منظمة التحرير الفلسطينية لا تعرف لها « رأسا » في سوريا ولا « رجلين » في عمان ولا « جبيا » في السعودية ولا « قلبا » في روسيا ولا « أصبعا » في ليبيا . ولا « لسانا » في مصر .

هكذا تمزق الشعب الفلسطيني في كل أرض عربية . وأهين في كل أرض عربية . إلا في مصر . وليس في نية مصر أن تفعل ذلك . ومنا نشرنا أن عدد أصحاب الملايين الفلسطينيين في مصر تجاوزوا الخمسين غضب بعض المصريين من ذلك . ورأوا أن ما ينشرناه يتنافى مع السياحة المصرية . ووجدنا الحق معهم واعتذرنا عن ذلك . أما في بقية الدول العربية فالقضية تختلف تماما . فالفلسطينيون يرهبون أهل الكويت . ويخيفون السعودية . ومطرودون من ليبيا . ومذبوحون في الأردن . ومشردون في لبنان . ومستعبدون في سوريا . ومعتقلون في إسرائيل .

أما المشكلة الحقيقية للشعب الفلسطيني فهي أن له جسما واحدا مسجى في الشرق الأوسط . وله ألف رأس . وكل رأس قد ألفيت فيه أفكار الدول العربية الأخرى . ولكن دولة واحدة استطاعت أن تتسلط على القيادة الفلسطينية .. إنها سوريا . لماذا ؟ لم يدلنا أحد على سحر البعث العلوي وقدرته النهائية في إذلال منظمة التحرير

فيوم طلب السيد ياسر عرفات من الرئيس السادات أن يسعى لدى الملك فيصل للمصالحة بين السيد ياسر عرفات والملك حسين ، تردد الرئيس السادات . وعنده حيثيات كثيرة لذلك . فالسيد ياسر عرفات من أبرز صفاته أنه يقول كثيرا ثم يعتذر لأنه « خطئ » كثيرا . ولكن السيد ياسر عرفات أصر . وكان ذلك في القطار بين مصر والإسكندرية . وطلب الرئيس السادات من الملك فيصل أن يصالح ياسر عرفات على الملك حسين . وتردد الملك السعودي فهو أيضا يعرف تقلبات السيد عرفات . ولكنه قال : افعل ذلك مع مصر !

وكانت المصالحة . ولكن الملك حسين الذي يعرف السيد ياسر أكثر من الجميع . ضرب مدينتي جرش وعجلون دون أن تتنبه القوات العراقية المرابطة بالقرب منها . وحتى يفلت الملك حسين من مسئوليته عن هذا العمل العنيف . سافر إلى الخارج وترك هذه المهمة لأخيه ولي العهد .

وفي مواجهة هذه الإهانة الأردنية لمصر والسعودية ، وردا عليها وعلى ادعاء السيدة جولدا مائير بأنه لا توجد كلمة اسمها فلسطين : طلب الرئيس السادات من المجلس الفلسطيني المنعقد في القاهرة إعلان « حكومة فلسطينية مؤقتة » تعترف بها مصر فورا .. تماما كما أعلنت

.. اليوم وليس غدًا :

يا منظمة التحرير الفلسطينية!

حكومة جزائرية مؤقتة فى مصر ، تسلمت الحكم بعد ذلك فى الجزائر . وكما عاد فأعلن الرئيس ذلك منذ أيام عندما طلب إلى المجاهدين الأفغان أن يقيموا حكومتهم المؤقتة فى القاهرة ..

ولم تلق هذه الدعوة ما تستحقه من تقدير من السيد عرفات . بل سارع الرئيسان الأسد والقذافى واستنكرا الموقف المصرى من المصالحة بين ياسر والملك حسين ، والدعوة إلى حكومة مؤقتة ..

وكما شارك السيد عرفات فى الهجوم على فك الاشتباك الأول لأن الروس أقنعوه بأن هناك اتفاقا سريا واتفاقا معلنا ، فإنه قد اعتذر فى التليفزيون المصرى لهذا الموقف المتعجل منه . أما السبب الحقيقى فانه قد فوجىء بأن سوريا قد وافقت على فك الاشتباك هى الأخرى . فوقف السيد عرفات حائرا بين إدانة مصر وتأييد سوريا . فاعتذر لمصر ولسوريا أيضا . ولكنه لم يرض الدولتين !

مرة واحدة فقط قبل حرب أكتوبر وافقت منظمة التحرير على أن تتلقى السلاح السوفيتى من مصر . وبعدها لم تحاول مصر أن تأتى لها بسلاح سوفيتى ، لأن منظمة التحرير لم تكن حريصة على ذلك،واختارت ، أو اختيرلها ، أن يكون سلاحها من سوريا . تحصل عليه وتمون به أيضا فى لبنان .

وحصلت المنظمة على السلاح السوفيتى بأيدى البعث السورى . أما الثمن الذى دفعه السيد عرفات فهو أن يؤيد الغزو السوفيتى لأفغانستان .. أى أن منظمة التحرير الفلسطينية قد وافقت على إدانة حركة التحرير الأفغانية الإسلامية .. فكأن منظمة التحرير دفعت ثمنا مضاعفا : أعطت قيادتها لسوريا ، وسلمت شرفها للسوفيت – أليس هذا هتكا لعرض الشعب الفلسطينى ؟

وإذا كان الشعب الفلسطينى واحدا ، فإن قيادته تجعله كثيرا . وربما كان الرئيس القذافى هو أنجح من استغل هذا الضعف فأطلق المنظمات بعضها على بعض . دفع لصغارها مالا ليضربوا كبارها . وبذلك تنقض المنظمات بعيدا عنه فلا تطالب بدولار واحد . وقد اتفقت المنظمات جميعا على شىء واحد : أن الرئيس القذافى لم يعطها شيئا مما وعدها به . ولكنه استخدمها فى الاعتداءات على السفارتين الأمريكية والفرنسية وغيرهما . وكأنه بذلك جرد المنظمات من صفتها الشرعية وهى

فاروق القدومى
ماالذى قاله الرئيس حسنى ؟!

انها حركات تخريبية وجعلها منظمات إرهابية . فهو بذلك قد ساعد إسرائيل فى إقناع العالم كله بأن منظمة التحرير الفلسطينية وغيرها ليست إلا منظمات إرهابية ، وأن لها هدفا واحدا معلنا هو القضاء على إسرائيل ، ومادام هذا هدفها فلا حل للقضية والاسلام فى المنطقة لأن السيد عرفات يريد أن يبقى كما هو ملكا غير متوج على شعب ممزق وأرض محتلة . وعندما قتل أحد زعماء المقاومة ووجدوا رصيده مائة مليون دولار ، أحست إسرائيل أن هذا دليل جديد على أن زعماء المقاومة أمراء وملوك وأنهم مترفون ، وأن حل القضية هو إسقاط هم من فوق العروش المحمولة على أعناق الأمة العربية ؟!

فهل حقا أن هناك رأيا واحدا لكل المنظمات الفلسطينية ؟ الجواب : لا .. إذ كيف يكون زعماؤها كثيرين ، ولها رأى واحد . بل ان المنظمة الواحدة لا يوجهها رأى واحد؟ إذن فالآراء مختلفة باختلاف الأشخاص ، ولذلك فالخلافات شخصية ، وإذا كانت المنظمة فى السادسة عشرة من عمرها ، فإن قياداتها بدأت تترهل . ولم تعد لها عضلات قوية ولا أنياب بارزة . ولذلك لم يعد السيد ياسر عرفات هو أحق الناس بموقعه . فقد ضعف وهزل . ويسيطر عليه خوفه القديم .. وليس عناده إلا نوعا من إخفاء عجزه عن القرار .

ولابد أن ماحدث للسيد ياسر عرفات فى سنة ١٩٦٥ ، هو الذى يسيطر على سلوكه العام والخاص ، وإلا فما هو تفسير فزعه المرضى من البعث العلوى فى سوريا ؟ ففى ذلك العام كان الرئيس حافظ الأسد وزيرا للدفاع وفوجىء بأن منظمة التحرير الفلسطينية قد نشطت على الجبهة السورية ، دون إذن منه ، فاعتقل السيد ياسر عرفات وألقى به فى السجن . فى البئر – ووصفوا ذلك بأن السيد عرفات قد لبى مالقيه النبى يوسف عليه السلام ، وخرج السيد عرفات بعد ساعات مهينة .

ولكن خروج السيد عرفات قد أدخل فى السجن شيئا أعظم من ذلك . فإذا كان الوزير حافظ الأسد قد أفرج عن ياسر عرفات ، فإن الرئيس حافظ الأسد قد اعتقل القضية الفلسطينية !

فالقضية الفلسطينية والوحدة اللبنانية والشعب السورى : رهائن البعث العلوى فى دمشق !

جولدا مائير لاتوحد كلمة احد الفلسطين

وبسبب هذا ، الشتات ، العربى . لم يكن غريبا أن يقول السيد مناحم بيجين : إن الصراع العربى الإسرائيلى ليس هو القضية التى تستحق اهتمام العالم وإدانة إسرائيل دائما . إنما هناك الصراع بين العرب ، والصراع بين المذاهب الإسلامية .. وهى جميعا تهدد موارد الطاقة التى يحتاج إليها العالم كله !

وليس صحيحا تماما ماستنتجه السيد بيجين ، ولكن الصحيح هو أن القضية الفلسطينية قد انتقلت إلى الظل ، ومن الظل إلى الرف ، ومن الرف إلى الغياب تماما .. فهل بعد ذلك تنتقل إلى النسيان ؟

أما الدول العربية فتنمى ذلك ..

ولكن مصر هى وحدها التى تدافع عن القضية،وليست خلافاتها مع إسرائيل من أجل الجلاء التام عن سيناء . فالجلاء مؤكد وموعده مسجل يوم ٢ ابريل سنة ١٩٨٢ م . إنما سبب التلكؤ فى تقرير المصير للشعب الفلسطينى هو السبب ! فالذى تحرص عليه مصر هو حل القضية الفلسطينية وتمهيد الطريق للملك حسين أن يساهم فى الحكم الذاتى للشعب الفلسطينى . والملك حسين يستطيع ذلك لأن أكثر شعبه من الفلسطينيين ولأنه على علاقة مستمرة وطيدة مع الأحزاب الإسرائيلية . وهذه العلاقة هى التى جعلت أحزاب المعارضة تؤكد أنها قادرة على إيجاد حل — فهى تعرف الملك حسين أكثر من الأحزاب الإسرائيلية الأخرى ومن العرب أيضا .

ولذلك فهى عندما تتحدث عن « الاختيار » الأردنى .. أو « البديل » الأردنى .. فهى لاتقصد البديل عن اتفاقية كامب دافيد — فلا بديل عنها .. إنما تقصد أنه البديل عن الاتصال المباشر بالمنظمات الفلسطينية ..

واذا كنا نطالب بأن يعرف العرب ماذا دار فى عمان بين العرب الرافضين بعضهم لبعض والذين اتفقوا على كل شىء إلا وحدة القضية الفلسطينية . فإن من الواجب أن يعرف العرب أيضا ماالذى يقوم به الملك حسين فى أوربا وأمريكا وفى إسرائيل أيضا .

❑❑❑

فإذا كنا على يقين من الذى لم يحدث فى سنة ١٩٨٠ . فإننا على يقين أكثر مما سوف يحدث فى سنة ١٩٨١ .. أو فى النصف الأول من هذا العام : فسوف يتوقف القتال بين العراق وإيران .

أما الرئيس السادات فقد صدقت نبوءاته فى المنطقة — فى الشرق العربى والشرق الأوسط والمد الشيوعى،ووصف ماسوف يحدث بأنه « المخاض » العنيف الذى يجىء مقدمة لولادة صعبة : ولادة أشكال جديدة للحكم . علاجا لأساليب العنف والبطش حولنا — أى حول مصر المستقرة وحدها فى الشرق الأوسط جميعا .

وسوف تقوم الدولة المسيحية فى لبنان . أما بقية لبنان فسوف يقتسمه سعد حداد والفلسطينيون والسوريون والمسلمون اللبنانيون !

أما دول الخليج فلن تعرف الأمن الذى نامت فيه طويلا . فقد أيقظتها من سباتها العميق انفجارات كثيرة . زلزلت العروش وزلزلت المقدسات أيضا — ولم يكن ذلك من قوات خارجية . إنما كان من غضب داخلى . وهو أخطر أنواع الخطر !

وبعض العرب لم يتذكروا ماحدث فى أفغانستان . لأنهم لم يتذكروا قبل ذلك ماحدث فى لبنان .. وإذا بقى العرب فى ذلك المعاد أنا مستعدون لأن نتخذ نفس الموقف إذا تكرر العدوان على شعب إسلامى أو عربى .. ولايمكن لدولة الدول العربية والإسلامية من سليتها من العدوان السورى على المسلمين والمسيحيين والفلسطينيين فى لبنان ، ثم على الشعب السورى نفسه ..

إنها نفس السلبية : عجز عن فعل شىء ، ويأس من أى حل ، وخوف على أمنها الداخلى ..

وإذا حاولت منظمة التحرير الفلسطينية أن تستعيد ثقة مصر . وهى الوحيدة التى جندت العالم كله من أجلها فإنه طريق شاق . وأهم معالم هذا الطريق سوء الظن والتردد — سوء الظن بكل مانقوم به مصر . والتردد فى الاعتراف بالخطأ .

وإذا كان العالم كله اليوم يؤيد حق الشعب الفلسطينى . فإن قادة الشعب الفلسطينى لايؤيدون هذا الحق . فما الذى يريدونه لأنفسهم ولشعبهم ؟ أما الذى يريدونه لأنفسهم فمعروف مع الأسف . أما الذى يريدونه لشعبهم فليس معروفا . ولذلك كان أسفنا أعظم ..

ولعل نكن ظروف منظمة التحرير الفلسطينية أفضل مما هى الآن : فبعد تصفية المعارك والصراعات فى الشرق العربى فى أوائل هذا العام . وبعد انفتاح المعارضة الإسرائيلية والملك حسين والإدارة الأمريكية الجديدة . والدول الأوربية . لحل القضية الفلسطينية سياسيا وإنسانيا . ووضوح موقف مصر وحدها فى العالم العربى . فعلى القيادات الفلسطينية أن تنتقل من الظل إلى النور . ومن التمزق إلى التضامن . ومن الإرهاب إلى التحرير،وإلا خسرنا العالم كله . كما خسرنا أنفسنا قبل ذلك ! .

□